المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
عمادة البحث العلمي
مركز بحوث كلية الآداب

الكتاب التذكاري

إعـــداد

مجموعة من الأساتذة والباحثين

هيئة التحـــرير:

الأستاذ الدكتور/ محمد بن فارس الجميل

(رئيس لجنة الكتاب التذكاري)

الدكتور/ عمر بن سليمان العقيلي

الدكتور/ خالد بن عبد الكريم البكر

الدكتور/سهيل صابان

الدكتور/ محمد بن سلطان العتيبي

بحوث علمية محكمة ١٤٣٠/٢٠٠٩

هذه البحوث تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر عن رأي المركز

المحتويات

الموضـــــوع الصفحـــة

كلمة سعادة عميد كلية الآداب

فهد بن محمد الكليبي ٧

كلمة مقرر لجنة الكتاب التذكاري

محمد بن فارس الجميل ٩

السيرة الذاتية للمرحوم بإذن الله الدكتور/ عبدالله بن فهد الفهيد

محمد بن سلطان العتيبي ١١

الأبحـــاث:

* النبي - صلى الله عليه وسلم - ويهود بني النضير-قراءة للعلاقة من منظور استشراقي ٢-٤هـ/ ٦٢٢-٦٢٤م

محمد بن فارس الجميل ١٥

* الأراجيز التاريخية الأندلسية-دراسة وتقويم

خالد بن عبد الكريم البكر ٤٩

البحث الثاني

الأراجيز التاريخية الأندلسية

دراسة وتقييم

خالد بن عبد الكريم البكر

أستاذ مشارك، قسم التاريخ ، كلية الآداب - جامعة الملك سعود ، الرياض

ملخص البحث

يتناول البحث فكرة التاريخ المنظوم - كما عبرت عنه الأراجيز - ومدى صلاحيته للتوثيق المنهجي. فقد شاع لدى بعض الأوساط العلمية أن الأراجيز وما تفرع عنها من منظومات تعليمية، لا يمكن الركون إليها ، لأن الغاية الأساسية منها هي المساعدة على الحفظ. ومن هنا جاءت الدراسة لتبحث هذه الفكرة في الأراجيز الأندلسية، فتتعرف على طبيعة مادتها التاريخية، وتستقصي موضوعاتها، وقيمتها التوثيقية.

تمهيد

عني نفرٌ من الباحثين باستقصاء المضمون التاريخي للشعر الأندلسي عامة ، من أمثال هنري بيريس في كتابه **الشعر الأندلسي في عصر الطوائف**، وجمعه شيخه في كتابه الفتن **والحروب في الشعر الأندلسي**. فجاءت نتائج دراساتهم معززةً لما بين أيدي الباحثين من نصوص ووثائق، وكاشفةً عن أبعادٍ أخرى لوقائع التاريخ الأندلسي لم تمتد إليها أقلام المؤرخين. فالشعر الأندلسي كان ولا يزال موضع حفاوة واعتناء من الدارسين، لكن الذي هان أمره وخفت صوته؛ هو تلك الأراجيز التاريخية التي نظمها أندلسيون منذ فترة مبكرة من تاريخ الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية ، فلم تحض- فيما أعلم- بدراسة علمية مستقلة ، وإنما يُشار إليها على عجل ضمن موضوعات الأدب الأندلسي . ولربما كان السبب في ذلك يرجع إلى عدم اقتناع الأدباء والمؤرخين بهذا اللون من التاريخ المنظوم . فالأولون- أعني الأدباء-لم يجدوا فيها ملحمة شعرية ينساب خلالها القصص التاريخي متماسكاً في تتابعه الزمني ، وشاملاً في وصفه الجغرافي . وأما المؤرخون فوجدوا في إيجازها الشديد ولغتها المادحة التبجيلية - في معظم الأحوال - ما ينأى بها عن قائمة المصادر التاريخية المعتبرة ، فضلاً عن كون ناظميها أدباءٌ شعراء لا مؤرخين محترفين ، فهي والحالة هذه قد خسرت الأدب ولم تربح التاريخ . وغاية ما يمكن أن يقال عنها - وفقاً لتلك الرؤى - إنها مناسبة جداً للأغراض التعليمية لسهولة حفظها ، ولكنها غير صالحة للتوثيق العلمي . فهل كانت الأرجوزة التاريخية في الأندلس كذلك ؟

١ - الأرجوزة - الاشتقاق اللغوي

تناول علماء اللغة أصل كلمة (رجز) باستفاضة ، فقد ذهب بعضهم إلى القول بأن الرجز يدل على الاضطراب[١]، وأخذ بعض الباحثين بهذا المعنى ، فالرجز في نظرهم هو ارتعادٌ في أفخاذ الناقة عند قيامها وهذا الارتعاد يسمى رجزاً ، وعليه فمن المحتمل أن الرجز يتصل بالحداء[٢]. بينما قال آخرون أن الرجز يعني تتابع الحركات[٣]، وجمع (الزبيدي) بين القولين؛ فقرر أن: " **أصل الرجز في اللغة الاضطراب وتتابع الحركات** "[٤] ، وهو اختيارٌ مال إليه بعض الباحثين المعاصرين حين رأوا أن تتابع الحركات ناتجٌ عن اضطراب ، واستشهدوا في ذلك بقوله تعالى : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾- المدثر : الآية رقم ٥ - فالآية الكريمة وصفت الشرك بالرجز ، والمشرك إنما هو في ريب من أمره واضطراب في اعتقاده ، ومن هنا أطلقوا اسم (الرجز) على هذا النوع من الشعر لأنه مقطوع مضطرب وأجزاؤه متقاربة وحروفه قليلة[٥].

---

(١) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، (بيروت : دار الجيل، د.ت) ، ج ٢ ، ص ٤٨٩.

(٢) حسين نصار ، الشعر الشعبي العربي ، (بيروت : دار الرائد العربي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ، ص ٤٢ .

(٣) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، (بيروت : دار صادر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) ، ج ٥، ص ٣٥١ .

(٤) الزبيدي ، السيد محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق إبراهيم الترزي وآخرون ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) ج ١٥ ، ص ١٤٩.

(٥) جمال نجم العبيدي ، الرجز : نشأته ، أشهر شعرائه ، (بغداد : مطبعة الأديب ، د.ت) ، ص ١٣ ، ١٥، ١٨.

ولقد اصطلح اللغويون على تسمية بحرٍ من بحور الشعر العربي بالرجز ، وذلك إما لتقارب أجزائه وقلة حروفه[٦] بحيث يكون الانتقال فيه من بيتٍ إلى بيت سريعاً وقصيراً، وإما لأنه صدورٌ بلا أعجاز[٧]. وقد جرى نقاشٌ حول تصنيف (الرجز) ، فرأى بعضهم[٨] أنه لا يدخل ضمن نطاق الشعر ، إذ لا فرق بينه وبين النثر سوى الوزن. ولربما كان هؤلاء مدفوعين بدرجة أكبر إلى نفي هوية الشعر عن الرجز لأنه جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم مقطوعات من الرجز ؛ كقوله عليه السلام يوم حنين (سنة ٨ هـ / ٦٢٩ م)[٩] :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

والشعر ممتنعٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجري لسانه به ، لقوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾- سورة : يس / آية ٦٩ - . بينما ذهب آخرون إلى أن ذلك لا يؤثر في تصنيف الرجز كبحرٍ من بحور الشعر ، لأن امتناع الشعر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وتحريمه عليه ؛ إنما هو تحريم نظم لا تحريم إنشاد[١٠].

---

(٦) الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية المسمى الصحاح ، ط ١ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) ، ج ٢ ، ص ٧٤٥ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١٥ ، ص ١٤٩.

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ، ص ١٠٥ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١٥ ، ص ١٤٩ .

(٨) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ط ٢ ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .

(٩) السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لا بن هشام ، تقديم طه عبد الرؤوف سعد ، (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ومؤسسة مختار ، د . ت) ، ج ٤ ، ص ١٣٩ .

(١٠) ابن رشيق القيرواني ، الحسن ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط ١، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

وثمة عاملٍ آخر دفع نفراً من الأدباء إلى التأكيد على أن الرجز خارجٌ عن نطاق الشعر ، وذلكم هو نظرة القدماء إليه ، إذ كانوا لا يحفلون به كثيراً ، فازدراه الجاهليون والإسلاميون باعتباره شعراً شعبياً لا يرقى إلى مكانة الشعر وروعته[١١]، فلم يكن الرجز في العصر الجاهلي ليتجاوز البيت والبيتين ، ولكن مع ظهور الإسلام أخذ الراجزون في إطالة أراجيزهم[١٢]، ثم مشوا خطوة أخرى في العصر الأموي ، فنظموا الأراجيز في الأغراض نفسها التي ينظم فيها الشعر[١٣]، حتى إذا جاء العصر العباسي ظهر لونٌ من الرجز يُعنى بالأغراض التعليمية، وذلكم هو الشعر التعليمي ، فما نصيب المادة التاريخية منه ؟

٢ - فكرة التاريخ المنظوم عند المسلمين

الشعر هو ديوان العرب ، أي أنه السجل الشامل لتخليد مآثرهم ونشر فضائلهم ، ومن هنا يمكن القول أن العرب قبل الإسلام عرفوا كيف يحتفظون بجوانب من أخبارهم عبر الشعر الذي كان من أبرز الوسائل المتاحة لديهم وقتذاك لمثل هذا الغرض ، فنشروا المناقب من خلاله واجترحوا المثالب وتذاكروا الأيام وتناشُدوها شعراً(١٤)، فقدموا بذلك ملامح تاريخية عن عاداتهم وتقاليدهم وحياتهم قبل الإسلام حتى صح قول القائلين بأن " **الشعر هو المنهج القبلي لتدوين التاريخ** "[١٥]، وما ذاك إلا لشيوع الأمية بين العرب في ذلك

---

(١١) حسين نصار ، الشعر الشعبي ، ص ٣٩ ــ ٤٠ .

(١٢) محمد توفيق البكري ، أراجيز العرب ، ط ٢ ، (القاهرة : د.ن ، ١٣٤٦ هـ) ، ص ٤ .

(١٣) حسين نصار ، الشعر الشعبي ، ص ٤١ .

(١٤) عبد العزيز الدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ط ٢،(بيروت : دار المشرق ، ١٩٩٣م)، ص ١٧.

(١٥) مرغوليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار ، (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) ، ص ٦١ .

الحين ، إذ كان تراثهم محفوظاً في الصدور لا مكتوباً في السطور . ويستطيع الباحثون أن يستخرجوا من القصائد الجاهلية إشارات تاريخية مهمة عن حروب القبائل مع بعضها ، وسعي بعض الزعماء إلى الإصلاح بين المتحاربين ونحو ذلك ؛ إلا أنه لا يمكن المجازفة بالقول أن مثل هذه القصائد تعد شعراً تاريخياً أو (قصصياً) محضاً ، بحيث يتوفر فيها عنصر الاستمرار التاريخي مع شمولية الوصف الجغرافي. فالقصيدة العربية تتألف من قطع مختارة تتناول موضوعات مختلفة ، وإذا تعرضت لحادثة تاريخية معينة فإنها تكتفي عادة بالإشارة إليها تلميحاً ، وهو ما يجعلها بحاجة إلى تعليق تاريخي لتوضيح ما غمض منها وتفصيل ما أجمل . هذا فيما يتعلق بالشعر ؛ أما فيما يخص الرجز فإن العرب لم تحفل به كثيراً ، إذ كانوا يقتصرون منه على أبيات يسيرة يأتي بها أحدهم في موضع المفاخرة والمنافرة أو في مواطن الحرب أو أوقات الحداء [١٦]، حيث ترد على خاطر الراجز شطور من الرجز يلقيها دون معاناة [١٧]. لكن هذا الوضع اختلف شيئاً ما مع ظهور الإسلام ، إذ وجدت أراجيز خصصها ناظموها لشرح حادثة تاريخية معينة ، ومثال ذلك في أرجوزة عمرو بن سالم الخزاعي [١٨]- عندما وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم مستنصراً به على قريش لنقضها

---

(١٦) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد شاكر ، ط ٣ ، (القاهرة : دار التراث العربي ، ١٩٧٧ م) ، ج ٢ ، ص ٦١٧ ؛ أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين ، الأغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٠ م) ، ج ١٨ ، ص ١٦٤ .

(١٧) شوقي ضيف ، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، (مصر : دار المعارف ، ١٩٧٧ م) ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(١٨) عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي ، كان أحد من يحمل ألوية خزاعة يوم فتح مكة ؛ انظر : ابن حجر، أحمد بن علي ، الإصابة في تمييز الصحابة ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، د . ت) ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

اتفاق صلح الحديبية سنة (٦ هـ / ٦٢٧ م) ودعمها لاعتداء قبيلة بكر الكنانية على خزاعة ، فقـــال [١٩]:

يا رب إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

و مضى يصف في أرجوزته حوادث القتل التي تعرضوا لها ، ومكان الحادثة ووقتها ، فقال :

هم بيّتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعاً وسجدا[٢٠]

ثم نشطت الأراجيز في العصر الأموي وتفاعلت مع وقائع الحياة اليومية ، فسجلت جانباً من الصراعات المذهبية السائدة وقتذاك [٢١] والتي كانت سمة من سمات العصر ، حيث نظم العجاج بن رؤبة (ت ٩٠ هـ - / ٧٠٨ م) أرجوزة مدح فيها الزبيريين وذم السبئية ودعاة الكيسانية[٢٢]

---

(١٩) ابن هشام ، عبد الملك ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وزميليه ، (بيروت : دار القلـــم ، د . ت) ج ٤ ، ص ٣٦ .

(٢٠) الوتير : اسم ماء لخزاعة بأسفل مكة ، وهو شعب يسيل إلى الغرب من سلسلة جبلية تقع بين جبل أبو الصواعق وجبل سود حمّى ، ويصب ماه وسط أرض العقيشية المعروفة قديماً باسم (أضاة لبن) ؛ انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) ، ج ٥ ، ص ٣٦٠ ؛ عبد الملك بن دهيش ، الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به ،(مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٤١٥هـــ / ١٩٩٥م)، ص ٢٦٢ .

(٢١) محمد كشاش ، الرجز في العصر الأموي ، ط ١ ، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٥ هـــ / ١٩٩٥ م)، ص ٩٧ .

(٢٢) الكيسانية : ينسبون إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب ، وقيل إن كيسان هو المختار بـــن أبي عبيـــد الثقفي الذي خرج مطالباً بثأر الحسين بن علي . يعتقد الكيسانية بإمامة محمد بن الحنفية وأنه معـــصوم من الخطأ ويدينون برجعته ؛ انظر : الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، مقـــالات الإســـلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق نواف الجراح ، (بيروت : دار صادر ، ١٤٢٧ هـــــ / ٢٠٠٦ م) ، ص ٢٠؛ محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، د . ت) ، ص ٣٩ .

فقال[٢٣]:

لقد وجدتم مصعباً مستصعبا حين رمى الأحزاب والمحزّبا

....

وابن أبي عبيد المكذبا والسبئي والمراش المذنبا

وتوالى ظهور الأراجيز التاريخية في العصر العباسي ولكن مع شيء من التغيير الذي طرأ على شكل الأرجوزة ومضمونها ، إذ استعمل الناظمون (المزدوج) في بناء الأرجوزة ، بحيث يجيء كل مصراعين على قافية واحدة . ولقد ذهب بعض الأدباء[٢٤] إلى القول أن إدخال المزدوج في الأراجيز إنما هو من صنيع المولدين ، الذين رأوا فيه هروباً من التزام قافية موحدة في جميع أبيات الأرجوزة . ولكأنما يُراد بهذا الرأي أنه شق على المولدين نظم الأراجيز في المشطور ، وهو ما كان مبنياً على شطر بيّن ، لضعف محصولهم اللغوي، ولذا ابتكروا المزدوج في نظم الأرجوزة مجددين في شكلها . والأشبه أن يكون التجديد في الشكل استجابة طبيعية لحاجة الناظمين إلى التوسع في المضمون ، حيث لم تقتصر الأرجوزة التاريخية على وصف حادثة تاريخية بعينها أو مشهداً حربياً محدداً ؛ وإنما اتسع مداها الزمني لتشمل الحديث عن قصة بدء الخليقة ونشأة الحضارات والأمم القديمة، في محاولة طموحة لمحاكاة الموضوعات الرئيسة التي طرقها مؤرخو العصر في مدوناتهم . وبوجه عام فإن (المزدوج) أكثر ملائمة من غيره لنظم المتون العلمية ، لأن الناظم لن يحتاج فيه إلا إلى كلمتين فقط متفقتين في حرفها الأخير[٢٥].

---

(٢٣) العجاج بن رؤبة ، ديوان العجاج ، تحقيق عزة حسن ، (بيروت : دار الشرق العربي ، د.ت) ، ص ١٣٤ .

(٢٤) ابن رشيق ، العمدة ، ج ١ ، ص ١٨٢ ؛ محمد كشاش ، الرجز ، ص ١٢٢ .

(٢٥) العبيدي ، الرجز ، ص ٥٩ ، ٦١ .

فقد نظم الشاعر العباسي علي بن الجهم (٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م) أرجوزة تاريخية افتتحها بذكر بدء الخليقة ، ثم استعرض فيها الرسل والأنبياء حتى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فتناول شيئاً من سيرته ، ثم انتقل إلى فترة الخلفاء الراشدين ثم الأمويين فالعباسيين حتى خلافة أحمد المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م) ، حيث قال فيها[٢٦] :

وبايعوا بعد الرضا لأحمد المستعين بالإله الأوحد

وكان في العشرين من ولاتها من آل عباس ومن حماتها

فنحن في خلافة مباركة خلت عن الأضرار والمشاركة

ثم ظهرت بعد سنوات قلائل أرجوزة تاريخية نظمها عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) في الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ - / ٨٩٢ - ٩٠١ م)، أشاد فيها بجهوده في قتال صاحب الزنج ، واستعرض جوانب من الدمار الذي أحدثته ثورة الزنج ، ومما جاء فيها قوله[٢٧]:

ولم يزل ذلك دأب الناس حتى أغيثوا بأبي العباس

الساهر العزم إذا العزم رقد الحاسم الداء إذا الداء ورد

....

فلم يزل بالعلوي الخائن المهلك المخرّب المدائن

والبائع الأحرار في الأسواق وصاحب الفجار والمرّاق

....

---

(٢٦) علي بن الجهم ، ديوان شعر ، تحقيق خليل مردم ، ط ٣ ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٦ م) ، ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

(٢٧) عبد الله بن المعتز ، ديوان ابن المعتز ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) ، ص ٤٨٣ — ٤٨٥ .

مازال حيناً يخدع السودانا ويدعي الباطل والبهتانا
وقال : سوف أفتح السوادا وأملك العباد والبلادا
....

فخرب الأهواز والأبلة وواسطاً قد حل فيه حله
وترك البصرة من رماد سوداء لا توقن بالميعاد

كما أشار ابن المعتز في أرجوزته إلى القرامطة ، فقال[٢٨]:

والقرمطيون ذوو الآجام صفوا فقد باؤوا مع الآثام
وشرعوا شرائع الفساد وأهلكوا إهلاك قوم عاد
كانوا يقولون : إذا قتلنا صبراً على ملتنا رجعنا

و سجل خبر سفارة بيزنطية جاءت إلى بغداد في عصر المعتضد ، فقال[٢٩]:

وملك الروم أتى كتابه بزلة تزفه أصحابه
فأدخلوا بغداد في شهر رجب وأيقن الترك بصغر وغلب
وسأل الهدنة والفداء فلم يجد من دائه شفاء

خلال هذه الفترة من القرن الثالث الهجري ؛ ذاعت الأراجيز التاريخية المنظومة على وزن المزدوج ، وعرف الأندلسيون هذا اللون من النظم ، فسجلوا من خلاله جانباً من أحداث تاريخ بلادهم .

---

(٢٨) ابن المعتز ، ديوان ، ص ٥٠٢ .

(٢٩) ابن المعتز ، ديوان ، ص ٥٠٢ .

٣ - ظهور الأرجوزة التاريخية في الأندلس

استعمل الأندلسيون الأرجوزة في الأغراض التعليمية فتناولوا بواسطتها موضوعات علمية متنوعة ، فقد اشتهر ابن عثمان الأصم (ت ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م)[٣٠] بنظم الأراجيز الفصيحة[٣١]، وفي الطب نظم سعيد بن عبد ربه (ت ٣٥٦ هـ - / ٩٦٦ م)[٣٢] أرجوزة وصف فيها الأسقام وأنواع الحمية ونوّه فيها بفضل علم الطب ، فقال[٣٣]:

لما رأيت الطب علماً نافعاً ... للدين والدنيا جميعاً جامعاً

رجزته بالوزن والنظام ... وصنته بجوهر الكلام

ومضى آخرون منهم على هذا النسق ، فظهرت أراجيز أندلسية في شتى أنواع العلوم والمعارف ، لاسيما في العلوم الشرعية وعلوم اللغة .

ولم يكن التدوين التاريخي وحفظ الأخبار بمعزل عن مثل هذه المنظومات التعليمية، فقد امتزج التاريخ بالنظم منذ فترة مبكرة في الأندلس ، بل لعل التدوين التاريخي من أقدم العلوم استفادة من المنظومات التعليمية في تلك البلاد ، ففي النصف الأول من القرن الثالث

---

(٣٠) أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عثمان الأسدي . كان شاعراً مجوّداً ، ونحوياً لغوياً ؛ انظر : الزبيدي ، محمد بن الحسين ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، (القاهرة : دار المعارف ، د . ت) ، ص ٣٠٦ .

(٣١) الزبيدي ، طبقات ، ص ٣٠٦ .

(٣٢) أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن محمد بن عبد ربه . كان فقيهاً أديباً ، وسمع منه عددٌ من طلبة العلم، واشتغل بالطب وكان بصيراً بمعرفته ؛ انظر : ابن الفرضي ، عبد الله بن محمد الأزدي ، تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، ج ١، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ؛ ابن جلجل ، سليمان بن حسان ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، ط ٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، ص ١٠٤ .

(٣٣) سعيد بن عبد ربه ، أرجوزة في الطب ، (مدريد : مجلة القنطرة ، ١٩٨٠ م) ، عدد ١ ، ص ٣٢٦ .

الهجري/ التاسع الميلادي نظم الشاعر الأندلسي الذائع الصيت يحيى بن الحكم البكري المعروف بالغزال (ت ٢٥٠ / ٨٦٤ م) [٣٤] أول أرجوزة في هذا المعنى، ويعتقد (بروكلمان) أنه نظمها في حدود سنة (٢٢٥ هـ / ٨٤٥ م) بعد عودته من سفارته إلى بلاد النورمان[٣٥]، وذلك موضع نظر لكون الغزال أشار في أرجوزته إلى عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن ، فقال[٣٦]:

أدركت بالمصر ملوكاً أربعة وخامساً هذا الذي نحن معه

فالأمير محمد هو الخامس الذي عناه الغزال في نظمه ، وقد تقلد الحكم في بلاده سنة (٢٣ هـ / ٨٥٢ م)، وعليه ؛ فمن المرجح أن الغزال نظم أرجوزته في تلك السنة احتفاءً بالأمير الجديد، أو بعدها بسنوات. وأيّاً ما كان الأمر ؛ فإن مما لا خلاف فيه هو أن أرجوزة الغزال ظهرت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، لأن الغزال توفي سنة (٢٥٠ هـ/ ٨٦٤ م)، وهو تاريخٌ مبكر في نظم مثل هذا اللون من الأراجيز في العالم الإسلامي بصفة عامة، حتى إن أحد الباحثين[٣٧] ذهب إلى القول أن الأندلس سبقت

---

(٣٤) يحيى بن الحكم البكري الجياني ، من شعراء الأندلس المرموقين في عصر الإمارة . عهد إليه الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالقيام بسفارتين ؛ الأولى إلى بيزنطة ، والثانية إلى بلاد النورمان . كذلك كانت له رحلة إلى المشرق الإسلامي ؛ انظر : الحميدي ، محمد بن أبي نصر ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، (القاهرة ـــ بيروت : دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ج ٢ ، ص ٥٩٧ .

(٣٥) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ م) ، القسم الأول ، ص ٤٢٥ .

(٣٦) أنظر أدناه ، ص ١٠ .

(٣٧) محمد خليفة التونسي ، " الغزال " ، مجلة العربي ، الكويت ، عدد ٢١٢ ، ١٣٩٦ هـ ، ص ١٣٣ . وتابعه في ذلك كل من : محمد صالح البنداق ، يحيى بن الحكم الغزال ، ط ١ ، (بيروت : دار الآفاق -

المشرق الإسلامي في هذا المضمار، حيث لم تظهر أرجوزة عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ - / ٩٠٨ م) في الخليفة العباسي المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ - / ٨٩٢ - ٩٠٢ م) إلا بعد أرجوزة الغزال بأعوام. ولعله كان مصيباً فيما ذهب إليه، لأن أرجوزة علي بن الجهم التي تقدمت الإشارة إليها لم تظهر هي الأخرى إلا في عهد الخليفة المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ - / ٨٦٢ - ٨٦٦ م) منتصف القرن الثالث الهجري. ويبدو ذلك معقولاً بالنظر إلى أن التاريخ الأندلسي اتصل بالأدب أكثر مما اتصل المؤرخ الشرقي به ، فالمؤرخون الأندلسيون كانوا أدباء شعراء [٣٨] .

ولقد ظهرت أيضاً في الفترة ذاتها أرجوزة تاريخية أخرى في الأندلس، نظمها تمام بن عامر بن علقمة سنة (٢٢٩ هـ - / ٨٤٤ م) [٣٩] في أخبار الفتح الإسلامي للأندلس وما تلاه من أحداث [٤٠]. وقد حظيت هي الأخرى بثناء المؤرخ (ابن حيان) وتقديره ، إذ وصفها بقوله: " **أرجوزةٌ حسنة تشتمل على كتاب ضخم** " [٤١]. ومعنى هذا أن تماماً تناول في أرجوزته حوادث الفتح بالتفصيل ، ويعضد ذلك أن الرجل كان : " **أخبارياً راوية لأخبار الأندلس القديمة** " [٤٢] . وفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، نظم شاعر

-الجديدة ، ١٩٧٩ م) ، ص ١٨ ؛ سامي مكي العاني ، دراسات في الأدب الأندلسي ، (بغداد : الجامعة المستنصرية ، ١٩٧٨ م) ، ص ٢٨٦ .

(٣٨) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ط ٥ ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، د.ت) ، ج ٣ ، ص ٢٨٥ .

(٣٩) أبو غالب تمام بن عامر بن أحمد بن تمام بن علقمة الثقفي ، وقيل من مواليهم . كان أديباً شاعراً راوية لأخبار الأندلس ، ولي الوزارة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ؛ انظر : ابن حيان ، حيان بن خلف، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق محمود علي مكي ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ، القسم الثاني ، ص ١٧٩ .

(٤٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي ، ص ١٧٩ .

(٤١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي ، ص ١٧٩ .

(٤٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي ، ص ١٧٩ .

العصر في الأندلس أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ -/ ٩٣٩م)[٤٣] أرجوزة تاريخية تتألف من (٤٤١) بيتاً ، وقد أوردها ضمن فقرات كتابه العقد ، ونحا فيها نحواً آخر يختلف شيئاً ما عن سابقيه ، إذ اقتصر في موضوعه على تسجيل معارك الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ - / ٩١٢ - ٩٦١ م) عاماً بعام ، مستخدماً الأسلوب الحولي في نظمه حتى عام (٣٢٢ هـ - / ٩٣٣ م) ، فتتبع جهود الناصر العسكرية في إعادة توحيد الأندلس ، واستنزال الثائرين من معاقلهم . وقد ردّ باحثٌ [٤٤] أسباب توقف ابن عبد ربه في نظمه التاريخي عند سنة (٣٢٢ هـ -/ ٩٣٣ م) رغم أنه عاش بعدها ستة أعوام ؛ إلى عدم رغبته في تسجيل هزيمة الخليفة الناصر في معركة الخندق (Alhandija) الشهيرة بقشتالة سنة (٣٢٧ هـ -/ ٩٣٨ م) . ربما كان هذا صحيحاً ، وربما كان لمرض الفالج الذي طرق شاعرنا في أواخر حياته بأعوام [٤٥] دورٌ في تناقص إنتاجه الشعري وعزوفه عن النظم في مختلف المناسبات .

ولقد توالى إنتاج التاريخ المنظوم بعد ذلك ، حيث ظهرت أرجوزة أبي طالب عبد الجبار الشقري [٤٦] في القرن الخامس الهجري ، وتناول فيها حوادث متفرقة من تاريخ الإسلام في المشرق والمغرب . كما ظهرت أراجيز أخرى في القرن السابع الهجري / الثالث عشر

---

(٤٣) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، من موالي الأمويين بقرطبة. سمع عدداً من علماء وقته في الأندلس، لكنه امتاز بالشعر والأدب ، وأخذ الناس عنه أشعاره . صنف كتاب (العقد الفريد) ؛ انظر ؛ ابن الفرضي ، تاريخ، ج ١ ، ص ٨٧ .

(٤٤) يوسف أحمد بني ياسين ، علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ط ١ ، (اربد — الدمام : مؤسسة حمادة ومكتبة المتنبي ، ٢٠٠٢ م) ، ص ٣٤٨ .

(٤٥) ابن الفرضي ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٤٦) أبو طالب عبد الجبار ، من أهل جزيرة شقر ، كان يعرف بالمتنبي ، وقد برع في الأدب وتفنن في المنثور والمنظوم ؛ انظر : ابن بسام ، علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق سالم مصطفى البدري ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ، ج ١ ، ص ٥٧٣ .

الميلادي، اختص بعضها بتاريخ صدر الإسلام كالسيرة النبوية ، أو بحوادث تاريخية معينة كاستشهاد الحسين بن علي (رض) حيث أنشأ ابن المناصف القرطبي [٤٧] (ت ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م) أرجوزة في تلك الحادثة تتكون من (٢٠٠٠) بيتاً من المزدوج [٤٨]، بينما نزعت أراجيز أخرى إلى تسجيل حوادث معينة من التاريخ الأندلسي . وهذا التنوع في الموضوعات يدل على حيوية ونشاط في الأرجوزة التاريخية أثناء تلك الفترة ، خلافاً لما ذهب إليه (روزنثال) [٤٩] من أن تيار التواريخ المنظومة قد ضعف في القرن السابع الهجري ولم يسترد نشاطه قط . والواقع أن استعراض أرجوزة لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) المسماة رقم الحلل في نظم الدول تكفي لإثبات نشاط التواريخ المنظومة إلى ما بعد القرن السابع الهجري .

٤ - موضوعاتها

يمكن القول إن الأراجيز التاريخية في الأندلس اعتنت في البداية بالتاريخ المحلي فتناولت أحداث الفتح ، فجوانب من عصر الإمارة ، وليس ذلك بالشيء اليسير في وقت لم يلتفت فيه

---

(٤٧) أبو عمران موسى بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي ، برع في الكتابة والشعر . وتقلد بعض المناصب الإدارية بمراكش أيام خليفة الموحدين الناصر لدين الله (٥٩٥ ــ ٦١٠ هـ) ؛ انظر : ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط ٢ ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤ م) ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

(٤٨) ابن عبد الملك المراكشي ، محمد بن محمد الأنصاري ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق محمد بن شريفة ، (د . م : أكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٨٤ م) ، القسم الثاني ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٤ ؛ وقد ذكر ابن عبد الملك أنه نظر في أرجوزة ابن المناصف مكتوبة بخط يده ، فعد منها (٢٠٦) بيتاً ، إذ كان القسم الأول منها مفقود .

(٤٩) فرانز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، ط ٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، ص ٢٥٣ .

أحدٌ من الأندلسيين إلى تسجيل تاريخ بلادهم . فقد تناول الغزال في أرجوزته تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي لها أواخر القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، وحتى عصره الذي عاش فيه وهو منتصف القرن الثالث الهجري - عصر الإمارة الأموية - فذكر بواعث الفتح الإسلامي للأندلس ، وفصّل في أخبار الوقائع الحربية بين المسلمين وبين أهل البلاد ، ثم تتبع أسماء ولاة الأندلس وأمراءها حتى عصره [٥٠]، كقوله :

أدركت بالمصر ملوكاً أربعة وخامساً هذا الذي نحن معه

والملوك الأربعة الذين عناهم بقوله ، هم : الأمراء الأمويون ؛ عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية (١٣٨ - ١٧٢ هـ - / ٧٥٥ - ٧٨٨ م) ثم ابنه هشام الرضا (١٧٢ - ١٨٠ هـ - / ٧٨٨ - ٧٩٦ م) ، فحفيده الحكم الربضي (١٨٠ - ٢٠٦ هـ - / ٧٩٦ - ٨٢١ م) ، ومن بعده عبد الرحمن - الثاني أو الأوسط - بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ - / ٨٢١ - ٨٥٢ م)، فمحمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ - / ٨٥٢ - ٨٨٦ م) .

ويبدو أن الغزال أجاد في عرض مادته التاريخية المنظومة - وفقاً لشهادة كبير مؤرخي الأندلس ابن حيان (ت ٤٦٩ هـ - / ١٠٧٦ م) الذي اطلع عليها وامتدحها بقوله : **" الأرجوزة الطويلة، جامعة الحكم المشهورة، التي صاغها في أبواب العلوم ووضعها على ضروب من المعاني، فلا نظير لها "** [٥١].

ويستفاد مما ذكره ابن حيان أمران ؛ أولهما : أن أرجوزة الغزال التي نعتبرها في عداد المفقودات حالياً ؛ كانت موجودة بأيدي الناس في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر

---

(٥٠) المقري ، أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨ م) ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٥١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٥١ .

الميلادي . والأمر الثاني : أن الوقائع التاريخية لم تستغرق أرجوزة الغزال بأكملها ؛ وإنما خصص شاعرنا قسماً من أرجوزته،تناول فيه جانباً من التيارات الفكرية الشائعة في الأندلس خلال عصره .

أما (ابن عبد ربه) فقد كانت أرجوزته ذات طابع حربي [٥٢] ، حيث قدم فيها معلومات عسكرية وافية عن كتائب الجيش الأموي وأسماء قادته ونظام تعبئته وخطط الحرب،فقد أشار – مثلاً – إلى مشاركة المتطوعة في الجيش الأندلسي إلى جانب المدونة [٥٣]، فقال :

فحشدت إليه أعلام الكور ومن له في الناس ذكر وخطر

إلى ذوي الديوان والرايات وكل منسوب إلى الشامات

وكل من طاوع بالجهاد أو ضمه سرج على جياد

ويقول في موضع آخر :

فنازل الحصن العظيم الشان بالرجل والرماة والفرسان

وأما اهتمامه بخطط الحرب وكيفية استنزال الثائرين خلال الحصار،فيشير في هذا المعنى إلى انتساف الزروع،وتخريب المباني والمنشآت،فيقول [٥٤] :

فلم يدع زرعاً ولا ثمارا لهم ولا علفاً ولا عقارا

---

(٥٢) ماريا خيسوس روبييرا مت ، الأدب الأندلسي ، ترجمة أشرف علي دعدور ، (د . م : المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩ م) ص ٢٧٥ .

(٥٣) المدونة أو المدونون هم من يمثل التشكيلات الدائمة الخاضعة للخدمة العسكرية ويأخذون أرزاقهم من الديوان ، أما المتطوعة فهم المجاهدون الذين خرجوا رغبة في الجهاد ؛ انظر : عبد الواحد ذنون طه ، دراسات في التاريخ الأندلسي ، (الموصل : جامعة الموصل ، ١٩٨٧ م) ، ص ٥١ — ٥٢ .

(٥٤) ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، العقد الفريد،تحقيق محمد سعيد العريان ، (د.م : دار الفكر ، د.ت) ، المجلد ٣ ، ج ٥ ، ص ٢٢٨ .

ويقول أيضاً في موضع آخر [٥٥]:

فخرب العمران من ببشتر وأذعنت شاط لرب العسكر

ويقول أيضاً[٥٦] :

سار إليه وبنى عليه حتى أتاه ملقياً يديه

ويميل (ابن عبد ربه) أحياناً إلى التفصيل في وصف مشاهد الحرب،فيعين الأيام التي جرى فيها القتال، فيقول مثلاً في عرض أحداث غزوة (٣٠٦ هـ - / ٩١٨ م) إلى بنبلونة [٥٧] :

وانصرف الناس إلى القليعة فصبحوا العدو يوم الجمعة

حتى تداعى الناس يوم السبت فكان وقتاً ياله من وقت

فأشرعت بينهم الرماح وقد علا التكبير والصياح

ثم نراه في مواطن أخرى أكثر دقة وتفصيلاً،إذ يبين الوقت الذي دخلت فيه جيوش الناصر مدينة طليطلة [٥٨]، وهو وقت الظهر،بعد حصار لمدة عامين وبضعة أشهر،

---

(٥٥) ابن عبد ربه،العقد،المجلد ٣ ، ج ٥ ، ص ٢٣٧ .

(٥٦) ابن عبد ربه ، العقد ، المجلد ٣ ، ج ٥ ، ص ٢٣٧ .

(٥٧) ابن عبد ربه ، العقد ، المجلد ٣ ، ج ٥ ، ص ٢٣٢ . أما بنبلونة Pamplona : فمدينة تقع في مناطق جبلية شمال شرق الأندلس على مسافة مائة وخمس وعشرين ميلاً من سرقسطة ؛ انظر : الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط ٢ ،(بيروت: مكتبة لبنان،١٩٨٤م)، ص ١٠٤ .

(٥٨) طليطلة Toledo : تقع على نهر تاجه على بعد ٧٥ كلم من مدريد بالقرب من مدينة وادي الحجارة ، وتحتل موقعاً متوسطاً من الأندلس . اتخذها القوط عاصمة لمملكتهم إلى أن افتتحها طارق بن زياد . تمتاز بكثرة بساتينها ومحاصيلها الزراعية لا سيما القمح والزعفران ، أما اليوم فهي مدينة متواضعة لا تزال تحتفظ بخططها القديمة ؛ انظر : الحميري ، الروض ، ص ٣٩٣ ــ ٣٩٤ ؛ محمد عبد الله عنان ،

فيقول [٥٩] :

حتى إذا ما كان منهم بالأمم وقد ذكا حر الهجير واحتدم
أتاه واليها وأشياخ البلد مستسلمين للإمام المعتمد
ووجه الإمام في الظهيرة خيلاً لكي تدخل الجزيرة

أو يصف باستفاضة مشورة الناصر لكبار قادته حول إمكانية اختراق المسالك الجبلية الوعرة إلى بنبلونة ، في غزاته سنة (٣١٢ هـ - / ٩٢٤ م)،ثم يسترسل موضحاً كيف أن القادة نصحوه بعدم الجواز،فخالفهم وأصر على اقتحام بنبلونة، وأيده في عزمه حاجبه موسى بن حدير [٦٠]، فقال [٦١] :

فكلهم أشار أن لا يدربا ولا يجوز الجبل المؤشبا
لأنهم في عسكر قد انخرم بندب كل العرفاء والحشم
وشنعوا أن وراء الفج خمسين ألفاً من رجال العلج
فقال لابد من الدخول وما إلى حاشاه من سبيل
وكان رأياً لم يكن من صاحب ساعده عليه غير الحاجب

الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ، ط ٢ ، (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) ، ص ٨٠ — ٨٢ .

(٥٩) ابن عبد ربه ، العقد ، المجلد ٣ ، ج ٥ ، ص ٢٤٤ .

(٦٠) موسى بن محمد بن حدير ، ينتمي إلى بيت مشهور من بيوتات الموالي الأمويين في الأندلس . له إلمام بالأدب والشعر ، وقد تولى منصب الحجابة أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر ؛ انظر : الحميدي ، جذوة ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ .

(٦١) ابن عبد ربه،العقد ، المجلد الثالث ، ج ٥ ، ص ٢٣٩ .

ولابن عبد ربه أرجوزة تاريخية ثانية، وقد اطلع عليها (ابـن القطـان) [٦٢] حيـث زعـم أن (ابن عبد ربه) تنبأ فيها بظهور المهدي محمد بن تومرت !،وأورد بيتين منهـا في هـذا الـشأن، هما:

ويرجع الأمر إلى عدنـــان لماجدٍ قد خص من عيلان

ربّ الفتوح صاحب الملاحم وقامع الأعراب والأعاجم

والبيتان المشار إليهما يتناولان ـ كما هو واضح ـ فكرة المهدي بصورة عامة، وما ذلك بجديد في الفكر الإسلامي، فأين ما زعمه ابن القطان من الإشارة إلى ابن تـومرت في أرجـوزة ابـن عبد ربه ؟ .

ويستفاد مما قيل حول الأرجوزة الثانية لابن عبد ربه ؛ أن ناظمها خرج بها عن نطاق التاريخ المحلي للأندلس، وخصصها ـ على مـا يظهـر ـ لتـاريخ صـدر الإسـلام،فذكر فيهـا الخلفـاء الراشدين، لكنه أخرج علياً رضي الله عنه من قائمتهم واستبدله بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ثم مضى يذكر الخلفاء والأمراء الأمويين في المشرق والأنـدلس حتـى عهـد الخليفـة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد . وقد انتقده معاصره القاضي منذر بن سعيد البلـوطي [٦٣](ت ٣٥٥ هـ - / ٩٦٦ م) في صنيعه هذا، وأنشأ أبياتاً في ذلك قال فيها [٦٤]:

---

(٦٢) ابن القطان المراكشي ، أبو محمد حسن بن علي ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمود علي مكي ، ط ١ ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٠ م) ، ص ١٨٢ .

(٦٣) أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الله النفزي البلوطي ، اهتم بدراسة اختلاف العلماء وأخذ بآراء الظاهرية . ولي قضاء ماردة ، فقضاء الثغور الشرقية ، ثم قضاء الجماعة بقرطبة سنة (٣٣٩ هـ) ؛ انظر : ابن الفرضي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٨٤٥ ـ ٨٤٧ .

(٦٤) ابن الأبار ، محمد بن عبد الله ، التكملة لكتاب الصلة ، نشره عزت العطار الحسيني ، (القاهرة ـ بغداد : مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م) ،ج ١،ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ؛ المقري ، نفح ، ج ٢،ص ٥١٢ .

أو ما عليٌ لا برحت ملعناً يابن الخبيثة عندكم بإمام

رب الكساء وخير آل محمد داني الولاء مقدم الإسلام

لكن باحثاً معاصراً (وهو جبرائيل جبّور) شك في نسبة هذه الأرجوزة لابن عبد ربه، ومال إلى القول بأنها لرجل من آل عبد ربه؛ إما لابن أخيه أو لأحد أحفاده، وطالما أنها مفقودة فإن أحداً لا يستطيع تعيين ناظمها بالضبط [٦٥]. وفيما يظهر؛ فإن جبّور اختار هذا الرأي لتسلم له فكرته حول تشيع ابن عبد ربه، وإلا فإن منذر ابن سعيد الذي قرأ الأرجوزة وانتقدها بشعره لم يدرك أحفاد ابن عبد ربه؛ وإنما كان معاصراً لا بن عبد ربه الشاعر ومات بعد أعوام من وفاة ابن عبد ربه،وأما ابن أخي الشاعر ابن عبد ربه - ولعل المقصود به هنا سعيد بن عبد ربه صاحب الأرجوزة الطبية - فرجلٌ مفتون بالطب والعلوم، ولم يؤثر عنه ميول سياسية ومذهبية محددة . ثم إن الحجج التي ساقها (جبّور) لإثبات تشيع ابن عبد ربه غير مقنعة، ولعله أحس بضعفها وعدم حجيتها فاستعمل - في وصف تشيع ابن عبد ربه - تعبيرات لينة في تضاعيف كتابه تشير إلى أن ابن عبد ربه كان (محباً لآل علي) أو (فيه تشيع معتدل) أو (تشيع حسن). وهذا ما لم يقل به الباحثون ، بل إن أحدهم أكد أن (ابن عبد ربه) معروفٌ ببغضه للشيعة ومن شابههم [٦٦].

وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ظهرت أرجوزة أبي طالب بن عبد الجبار الشقري في (٤٥٣) بيتاً،وقد تناول فيها حوادث متفرقة من تاريخ الإسلام في المشرق والمغرب، مما يعكس تحولاً في موضوعات الأراجيز التاريخية الأندلسية عن الطابع المحلي،

---

(٦٥) جبرائيل جبور ، ابن عبد ربه وعقده،ط ٢ ، (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩ م) ، ص ٩٢ .

(٦٦) محمود علي مكي ، التشيع في الأندلس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الثاني ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ، العدد ١ ــ ٢ ، ص ١١٠ ــ ١١١ .

وقد اعتبر (روزنثال) [٦٧] أن أرجوزة ابن عبد الجبار تعد نتاجاً معقولاً لتاريخ منظوم، لكن استعراض ابن عبد الجبار الشقري لحوادث التاريخ الإسلامي في أرجوزته لا يدل بالضرورة على جودة إلمامه بها؛ وإنما عمد الرجل إلى كتابات المسعودي وغيره من المؤرخين فأوجزها ونظمها، وصرّح هو بذلك في مقدمة أرجوزته، فقال في البيت السابع منها [٦٨] :

في كلمٍ كلؤلؤ العقود أنظم ما ضمنه المسعودي

وغيره من سائر الأئمة في كل من ولي أمر الأمة

ولا نعرف كيف يمكن اعتبار مثل هذه الملخصات نتاجاً تاريخياً معقولاً ؟.

بدأ القسم التاريخي من الأرجوزة بذكر بدء الخليقة ثم الأنبياء،ثم دولة الخلفاء الراشدين فالأمويين ثم العباسيين حتى عهد الخليفة المسترشد بالله . ويلاحظ أن أبا طالب الشقري أوضح في المقدمة النثرية لأرجوزته أنه ذكر خلفاء بني العباس حتى وقته،وآخرهم في وقته هو القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ - / ١٠٣١ - ١٠٧٥ م)،فقال في ذلك : " **وذكرت من ولي الخلافة بالمشرق من بني العباس بعد المطيع لله إلى وقتنا هذا،وهو وقت التاريخ الذي ذكرته في الأرجوزة،والإمام الآن فيه القائم بأمر الله بن القادر بالله** " [٦٩]، وفي ذلك ما يدل على أن الأرجوزة زيد فيها بعد وفاة ناظمها ، إذ ورد فيها إشارة إلى عهد المسترشد بالله العباسي (٥١٢ - ٥٢٩ هـ - / ١١١٨ - ١١٣٥ م)، و إشارة ثانية إلى عهد الزعيم المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ - / ١١٠٦ - ١١٤٢ م) . ورغم أن الشقري نزع نزعة جديدة في الأراجيز الأندلسية عندما التفت إلى أخبار المشرق الإسلامي؛

---

(٦٧) روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ .

(٦٨) ابن بسام ، الذخيرة،ج ١ ، ص ٥٧٥ .

(٦٩) ابن بسام ، الذخيرة ، ج ١،ص ٥٧٥ .

إلا أنه لم يكن غافلاً عن حوادث الأندلس وتاريخها،فتناولها منذ العصر الأموي متجاوزاً الفتح وعصر الولاة، اللهم إلا إشارات سريعة وخاطفة إلى أن الفتح جرى في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ - / ٧٠٥ - ٧١٤ م)، وبعدها انتقل بسرعة فائقة إلى العصر الأموي،فقال :

استوسق الملك بهذي الناحية لعابد الرحمن بن معاوية

ثم تولاها ابنه هشام حتى أتاه بعدها الحمام

فبايعوا ابنه المسمى الحكما فأبرم الملك له وأحكما

ثم مضى يسجل أحداث الفتنة البربرية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وسقوط الدولة الأموية، فعبور المرابطين لإنقاذ الأندلس، إلى أن انتهت أرجوزته عند الإشارة لفترة حكم الزعيم المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين. ويلاحظ على أرجوزة ابن عبد الجبار شدة إيجازها وافتقارها إلى المعلومات المفصلة وخلوها من الإثارة القصصية، ولذا فإنه من غير الإنصاف مقارنة هذه الأرجوزة بما عمله ابن عبد ربه في تسجيل معارك الخليفة الناصر. فأرجوزة ابن عبد ربه ، وإن افتقرت إلى الخيال الشعري؛ إلا أنها حفلت بمادة علمية جيدة عن أعلام الفترة التي أرخ لها من رجال الإدارة والحرب، وكذلك أسماء زعماء الثورة وتعيين المناطق الثائرة وتفصيل خطط الحرب، إضافة إلى قائمة غنية بأسماء المواضع والأماكن، في حين اكتفى ابن عبد الجبار بسرد أسماء الخلفاء والأمراء والسلاطين في تتابع زمني سريع ، مما يدل على أن الغرض التعليمي من أرجوزته كان واضحاً تماماً، بعكس أرجوزة ابن عبد ربه التي يمكن اعتبارها وثيقة مهمة عن حروب الخليفة الناصر وعن الجيش الأندلسي في عصر الخلافة .

ولقد طرأ اتجاه جديد في موضوعات الأراجيز خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، حيث ظهر الاهتمام بالسيرة النبوية ، فانبرى عددٌ من الناظمين إلى انتزاع جوانب منها واتخاذها موضوعاً للنظم ، ورغم أن هذه الأراجيز غير موجودة بأيدينا اليوم إلا أننا نستشف موضوعاتها من عناوينها التي أوردتها معاجم الرجال ، فهناك من عني بنظم الشمائل النبوية كما فعل علي بن أحمد الغساني (ت ٦٠٩ هـ - / ١٢١٢ م) [٧٠] ، بينما انصرف محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ - / ١٢٧٢ م) إلى جمع أسماء النبي صلى الله عليه وسلم في أرجوزته [٧١] . أما أحمد بن الحسين بن الزيات الكلاعي المالقي (ت ٧٢٨ هـ - / ١٣٢٧ م) فقد اختصر السيرة النبوية في أرجوزته المعنونة (**قرة عين المسائل وبغية نفس الآمل**) [٧٢] . وقد يكون هذا الاتجاه محاكاة لنزعة المؤرخين في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي للكتابة في موضوعات من السيرة النبوية لشحذ همم مواطنيهم نحو مقارعة المدّ النصراني المتزايد [٧٣] . ولقد امتدت عناية الراجزين خلال تلك الفترة لتشمل موضوعات من حوادث صدر الإسلام ، كما هي الحال في أرجوزة ابن المناصف القرطبي التي خصصها عن مقتل الحسين بن علي (رض) ، ومما جاء فيها [٧٤] :

---

(٧٠) ابن فرحون ، إبراهيم بن علي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د. ت) ، ص ٢١٠ .

(٧١) ابن فرحون ، الديباج ، ص ٣١٧ .

(٧٢) ابن فرحون ، الديباج ، ص ٤٤ .

(٧٣) حسين مؤنس ، شيوخ العصر في الأندلس ، (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٥ م) ، ص ١١٧ .

(٧٤) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، القسم الثاني ، ص ٣٨٤ .

وكان داعي نظم هذا المقتل مرجزاً في شكله المفصل
بعض صحابنا الذين صحبوا في الله حباً جل فيه السبب
رغب أن يعمه التنظيم الصاحب الكفيف إبراهيم
المنتمي لدرعة في النسب المقتدي بمالك في المذهب
وحين أكملت المراد فكمل ووفق الله إلى خير العمل
انتهت الأبيات منه عدا مزدوجات أن بلغت الحدا
ألفين في نظامها مرصعة وإن ترد أفرادها فأربعة

لقد حرص ابن المناصف على التأكيد بأن فكرة أرجوزته هذه إنما جاءت باقتراح من صديقه أبي إسحاق إبراهيم بن زكرياء الدرعي المالكي الكفيف [٧٥] ، ولعله أراد من وراء ذلك أن يدفع عن نفسه تهمة التشيع ، بل إنه عني بتبيين ملامح شخصية صديقه الدرعي وانتمائه المذهبي لئلا يُرمى هو الآخر بالتهمة نفسها .

ومع شيوع النظم في موضوعات السيرة النبوية أو في موضوعات متفرقة من حوادث صدر الإسلام ؛ إلا أن ذلك لم يمنع الناظمين من الاستمرار في تدوين تاريخ بلادهم التي كانت تجوز وقتئذ منعطفاً خطيراً ، تمثل في سقوط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى ، حتى جاء دور قرطبة عاصمة الإسلام في الأندلس ، فسقطت سنة(٦٣٣ هـ - / ١٢٣٦ م) على يد ملك قشتالة Castilla ، فرناندو الثالث Fernand III، ونظم في ذلك أبو جعفر أحمد بن علي البنسولي القرطبي [٧٦](ت ٦٤٦ هـ - / ١٢٤٨ م) أرجوزةً وصف فيها دخول النصارى

---

(٧٥) ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، القسم الثاني ، ص ٣٨٢ .

(٧٦) أبو جعفر وقيل أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المعروف بالبُنّسولي . درس القراءات وعني بالأدب حتى صار كاتباً لأحد الولاة ، وناظماً لموضوعات علمية مختلفة ؛ أنظر : ابن

قرطبة وسقوطها بأيديهم [٧٧]. ولعل هذه الأرجوزة المفقودة تكون وثيقة فريدة من نوعها في وصف الحادث الجلل ، إذ لا نعلم أحداً من قدامى المؤرخين خصص كتاباً لتدوين هذه الحادثة يماثل كتاب (البيان الواضح في الملم الفادح) لأبي عبد الله محمد بن خلف بن علقمة الصدفي (ت ٥٠٩ هـ - / ١١١٥ م) حول ما نزل بمدينة بلنسية من بلاء على يد الأسبان ، واحتلالها من قبل رودريجو دياث Rodrigo Diaz ، والمعروف باسم (السيد القنبيطور) سنة (٤٨٧ هـ - / ١٠٩٤ م).

ثم نحت الأرجوزة التاريخية في الأندلس منحىً موسوعياً خلال القرن الثامن الهجري، فجاءت منسجمة مع طرائق الكتابة العلمية الشائعة في ذلك العصر، فقد ظهرت أرجوزة لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ - / ١٣٧٤ م) المسماة رقم الحلل في نظم الدول في (١٤٠٣) بيتاً، استوعب فيها التاريخ الإسلامي حتى عصره ، مستفيداً من ثقافته الغزيرة . لم يذكر (ابن الخطيب) في أرجوزته تاريخاً محدداً لنظمها ، غير أنه يمكن استنتاج فترة تأليفها من خلال الاستدلال ببعض أبياتها ، فقد ذكر في أرجوزته السلطان المريني أبا فارس عبد العزيز بن علي (٧٦٨ - ٧٧٤ هـ - / ١٣٦٦ - ١٣٧٢ م)، فأغدق عليه عبارات المديح والثناء، ووصفه ب-(الخليفة) و (تاج جيش الملة الحنيفة)، فقال في ذلك [٧٨]:

الأبار ، محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي ، التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عبد السلام الهراس ، (الدار البيضاء : دار المعرفة ، د . ت) ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(٧٧) التجيبي ، القاسم بن يوسف ، برنامج التجيبي ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، (ليبيا ـــ تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٨١ م) ، ص ٢٦٦ .

(٧٨) ابن الخطيب ، محمد بن عبد الله ، شرح رقم الحلل في نظم الدول ، نشره عدنان درويش ، (دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٠ م) ، ص ٢٦٤ .

وادّخر الله لجبر المـــلة بدر البدور الغر والأهلة

عبد العزيز ... ديـن الله وفخره الذي به يباهـي

نجل الإمام المجتبى أبي الحسن والمهتدى بهديه البر الحسن

وهو لهذا الزمن الخـليفة وتاج جيـش الملة الحنيفة

والحق ؛ أن (ابن الخطيب) لم يمدح أمير غرناطة محمد (الخامس) الغني بالله بن يوسف الأول (٧٥٥ - ٧٩٤ هـ - / ١٣٦١ - ١٣٩٢ م) بمثل هذه الأبيات التي مدح بها أبا فارس المريني ، وبالتالي فإننا نفترض أن الرجل - أعني ابن الخطيب - كان وقتذاك لاجئاً سياسياً في بلاط بني مرين وتحت حماية سلطانهم أبي فارس عبد العزيز . حيث فرّ من غرناطة بعد أن سعى به خصومه لدى أميرها ، وكان ذلك في عام (٧٧٣ هـ - / ١٣٧١ م)، ولما كان السلطان أبي فارس المريني قد توفي سنة (٧٧٤ هـ - / ١٣٧٢ م) ؛ فإن من المحتمل أن (ابن الخطيب) نظم أرجوزته تلك فيما بين هذين العامين .

افتتح ابن الخطيب أرجوزته بتحميد الله تعالى وذكر آلائه ، ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ووصف شمائله . ومن بعدها خصص فقرة عن علم التاريخ لربما كانت تكشف شيئاً عن ملامح فلسفة التاريخ عند ابن الخطيب ، فقد أشار فيها إلى فائدة التاريخ في التعرف على أسباب قيام الدول وعلل سقوطها، وأهمية قياس الحاضر بالغائب، فضلاً عما يقدمه التاريخ من خبرات بشرية متراكمة،فيها تذكرة للعاقل وتنبيه للغافل، فيقول :

وبعد : فالتاريـخ والأخبـــار فيه لنفس الغافل اعتبار

وفيه للمستبصر استبصـــار كيف أتى القوم وكيف صاروا

يجـري على الحاضر حكم الغائب فيثبت الحق بسهم صائب

فهذه أدوات المعرفة التاريخية كما يراها ابن الخطيب (كيف ولماذا ؟) . ومثل هذا النظر الفلسفي لا نجده فيما بين أيدينا من الأراجيز التي تقدم ذكرها ؛ وإنما ظهر في الغرب الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري ، القرن الذي عاش فيه ابن خلدون - معاصر ابن الخطيب وصديقه - .

وأمرٌ آخر ؛ امتازت به أرجوزة ابن الخطيب عما سبقها، وهو عناية ناظمها بشرح معانيها شرحاً نثرياً موجزاً، فقد رأى أن يقف وقفات قصيرة عند بعض الأبيات، فيعلق ويفسر ويستشهد ببعض الأحاديث النبوية في الموضوعات ذات العلاقة، أو بأقوال ثقاة المؤرخين في موضوعات أخرى ، حتى إذا فرغ من ذلك كله أخرجه في كتاب مستقل ، عنوانه **شرح رقم الحلل في نظم الدول** .

تناول ابن الخطيب في أرجوزته تاريخ الدول الإسلامية المتعاقبة في المشرق والمغرب، معبراً في ذلك عن رؤيته في وحدة دار الإسلام ، وهو اتجاه ملحوظ في كتابات تلك الفترة التي انحسر فيها الإسلام في الأندلس، ونجد صداه في كتاب **أعمال الأعلام** لابن الخطيب. فقد ذكر الخلفاء الراشدين أولاً ثم الأمويين ثم العباسيين [٧٩]، واستغرق ذلك من أرجوزته (٢٩٨) بيتاً مرّ فيها على أهم الحوادث السياسية والحضارية . ثم تناول المغرب فتجنب الإجمال ومال إلى تفصيل حوادثه التاريخية ، فذكر الدول المتعاقبة في الأندلس، ثم المغرب - ويبدو أنها المرة الأولى التي يُشار فيها إلى دويلات المغرب في الأراجيز الأندلسية - ووقع ذلك كله في (١١٠٥) بيتاً . لقد أوشك ابن الخطيب أن يصمم في أرجوزته هذه أطلساً عاماً لتاريخ الإسلام لولا أنه أهمل الدويلات الإسلامية في المشرق ، فلم يذكرها في أرجوزته .

---

(٧٩) ذكر (روزنثال) أن رقم الحلل يبحث في الأنبياء والخلفاء ، ولم نجد أثراً يذكر عن الأنبياء في أرجوزة ابن الخطيب ؛ روزنثال ، علم التاريخ ، ص ٢٥٣ .

٥ - قيمتها التوثيقية

على الرغم من كون ناظمي الأراجيز التاريخية أدباءٌ شعراء بالدرجة الأولى لا مؤرخين محترفين؛ إلا أن تلك الأراجيز قد حظيت باعتناء ملحوظ من قبل مؤرخي الأندلس المتقدمين، بل واستفادتهم مما جاء في بعض جوانبها - كما سيرد معنا لاحقاً - ، لا سيما في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ الأندلس ، والتي استغرقت طوال القرنين الثاني والثالث الهجريين . خلال تلك الفترة لم يتقدم أحدٌ من أبناء الأندلس لتدوين تاريخ بلاده، اللهم ما كان من أمر الفقيه الأندلسي عبد الملك بن حبيب [٨٠] (ت ٢٣٨ هـ - / ٨٥٥ م)، الذي صنف كتاباً في التاريخ عنوانه: مبتدأ خلق الدنيا وقد ظهرت في تضاعيف الكتاب لغة عجائبية غرائبية، جعلت بعض الباحثين [٨١] يحكمون بأن تاريخ ابن حبيب لا علاقة له بالتاريخ. وفيما عدا هذه المحاولة اليتيمة لم يصلنا شيء ذو صلة بالكتابة التاريخية في الأندلس خلال الفترة المشار إليها آنفا، ومن هنا تكتسب الأراجيز التاريخية التي ظهرت في الأندلس في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي أهمية خاصة، إذ أحرزت قصب السبق في تسجيل جوانب من تاريخ الأندلس. ولقد ذهب بعض الباحثين [٨٢] إلى أن (عبد الملك بن حبيب) استفاد من أرجوزة تمام بن علقمة (٢٢٩ هـ - / ٨٤٤ م) فنثرها وعرض أحداثها في كتابه

---

(٨٠) أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي . قيل إنه من موالي سليم . من أهل البيرة ثم انتقل عنها إلى قرطبة . كان فقيهاً مشاوراً مع يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان ، وله مؤلفات في الفقه والأدب والتاريخ ؛ انظر : ابن الفرضي ، تاريخ ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .

(٨١) عبد الواحد ذنون طه ، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، ط١ ، (بغداد:وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٨ م) ، ص ٨ ؛ آنخل جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د . ت) ، ص ١٩٥ .

(٨٢) يوسف بني ياسين ، علم التاريخ في الأندلس ، ص ٣٤٧ .

التاريخ، وهذا الكلام موضع نظر؛ لأن جل اعتماد ابن حبيب في أخباره عن فتح الأندلس كان على مرويات (الليث بن سعد ت ١٧٥ هـ - / ٧٩١ م) وغيره من شيوخ المصريين [٨٣]، فضلاً عن أن كتاب ابن حبيب لا ترد فيه أدنى إشارة إلى تمام بن علقمة أو أرجوزته .

غير أن الذي استفاد حقاً مما جاء في أرجوزة تمام ، هو المؤرخ (أبو بكر محمد بن عمر، المعروف بابن القوطية ت ٣٦٧ هـ - / ٩٧٧ م) أو من حرّر مادة كتابه **تاريخ افتتاح الأندلس** [٨٤] ، فقد نقل مواداً تاريخية عن أرجوزة تمام ، وخصوصاً تلك التي تتعلق بسارة ابنة الموندو القوطية (Sarra La gothe) ورحلتها إلى الشام للقاء الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ - / ٧٢٣ - ٧٤٢ م)، ثم زواجها فيما بعد من عيسى بن مزاحم [٨٥] (ت ١٣٨ هـ - / ٧٥٥ م) ، ومن بعده عمير بن سعد [٨٦]. ومن هنا يتبين أن أرجوزة تمام هي من المصادر الأولية في خبر سارة القوطية، وفي ذلك ما يدل على أنها كانت ذات شأن في التوثيق التاريخي.

---

(٨٣) ابن حبيب ، عبد الملك ، كتاب التاريخ ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٨٤) pons Boigues ,Francisco, Los historiadores Y Geografos arabigo espanoles , Amsterdam ,philo press ,1972 , pp .83 _ 84,

(٨٥) عيسى بن مزاحم ، مولى الخليفة هشام بن عبد الملك ، تزوج سارة القوطية فقدم معها الأندلس وقبض ضياعها من عمها أرطباس Ardabas ؛ انظر : ابن القوطية ، تاريخ ، ص ٣٢ .

(٨٦) ابن القوطية ، محمد بن عمر ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ط ١ ، (بيروت : مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) ، ص ٧٥ .

أما يحيى الغزال فقد استعرض في أرجوزته جوانب من التيارات الفكرية السائدة في الأندلس، حيث كشف (ابن حيان) أن الغزال كان قدرياً يقول بالاستطاعة [٨٧]، إذ صرّح بذلك في أرجوزته، فهو أول من أفصح بالقدر وتكلم فيه بالأندلس ، وهو أول أندلسي تكلم بأن القرآن مخلوق. وفي ضوء هذه المعلومات الجديدة ، ينبغي إعادة النظر فيما جاءت به بعض الدراسات العلمية [٨٨] التي تناولت انتشار أفكار المعتزلة في الأندلس وارتباط ذلك بشخصية (فرج بن سلام البزاز القرطبي)[٨٩] باعتباره من أوائل المروجين للاعتزال في بلاده، وذلك بالنظر إلى دوره في إدخال كتب الجاحظ[٩٠](ت ٢٥٥ هـ - / ٨٦٩ م) ورسائله إلى الأندلس[٩١] ، لأن فرجاً رحل إلى العراق والتقى الجاحظ أيام الأمير الأموي

---

(٨٧) القدرية هم أوائل المعتزلة القائلون بقدرة الإنسان على خلق أفعاله ليصبح مسئولاً عنها وبحريته في الإرادة، المعارضون لفكرة أن الإنسان مسيّر مجبر في أعماله ، وقد سماهم بذلك خصومهم لحديث ورد : " القدرية مجوس هذه الأمة " ، وردوا بدورهم على أن أولى الناس بالتسمية هم القائلون بأن القدر يحكم جميع أعمال الإنسان من خير وشر . انظر : أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ط ٩ ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ م) ، ص ٢٨٤ .

(٨٨) Charles Pellat : Al Yahi et lAndalus , en Al Andalus , vol , XX1, 1956 , P . 278 .

(٨٩) أبو بكر فرج بن سلام القرطبي ، كان معتنياً بالأخبار والأشعار والآداب ، مشتغلاً بالطب . رحل إلى المشرق ولقي الجاحظ بالعراق فنقل عنه بعض مصنفاته . توفي بكورة رية في الأندلس ؛ انظر : ابن الفرضي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٨٩ .

(٩٠) الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب . ولد سنة ١٥٠ هـ ، ومات سنة ٢٥٥ هـ في خلافة المعتز وقد جاوز التسعين . سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأخذ النحو عن الأخفش . يعد من رجال المعتزلة المبرزين ؛ انظر : ياقوت ، أبو عبد الله ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ط ٣ ، (د. م : دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ، ج ١٥، ص ٧٤ ــ ٧٦ .

(٩١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي ، ص ١٦٤ ؛ محمد الوزاد ، الاتجاهات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد بن عبد الله ، فاس ، العددان الرابع والخامس ، ١٩٨٠ ــ ١٩٨١ م ، ص ١٦٥ .

محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ- / ٨٥٢ - ٨٨٦ م) ، بينما كانت رحلة الغزال إلى العراق في فترة سابقة ، في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم . وعليه ؛ فقد يكون الغزال هو رائد تيار الاعتزال في الأندلس، وهنا يمكن فهم أسباب الوحشة والجفاء في علاقة الغزال بفقهاء عصره - وهذا ما لم يتطرق إليه دارسو الغزال - ، فقد رماه الفقيه يحيى بن يحيى الليثي [٩٢](ت ٢٣٤ هـ- / ٨٤٨ م) بالزندقة ، وسعى به آخرون عند أمير الأندلس، ولم يسكت هو عما أصابه وإنما أرسل عليهم شواظاً من نار لسانه، ونظم فيهم هجائيات مقذعة [٩٣]، فقال في أرجوزته معرضاً بأحدهم [٩٤]:

جاء بجسم الفيل في العيون حتى إذا سار إلى سحنون

فجاء بالتوراة والإنجيل كأنما سار إلى جبريل

ولعل الصواب في نظم البيت الأول هو العكس، بحيث يجيء على النحو الآتي :

حتى إذا سار إلى سحنون جاء بجسم الفيل في العيون

على أنه من الضروري أن ننبه هنا إلى أن الغزال تراجع في أخريات حياته عن قول المعتزلة ، حسبما نصّ (ابن حيان) في المقتبس [٩٥]، وكما يلاحظ من قصائده [٩٦]، ومع ذلك ؛ فإن

---

(٩٢) يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس الليثي ، من مواليهم وأصله من بربر مصمودة ، من أهل قرطبة . رحل إلى المشرق أكثر من مرة ، والتقى إمام دار الهجرة مالك بن أنس وكان من أبرز تلامذته الأندلسيين . وحين - عاد إلى بلاده عمل على نشر مذهب مالك في الأندلس ؛ انظر : ابن الفرضي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٨٩٨ — ٩٠٠ .

(٩٣) كقوله : لست تلقى الفقيه إلا غنياً ليت شعري من أين يستغنونا ؛ انظر : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي ، السفر الثاني ، ص ٢٥١ .

(٩٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي ، السفر الثاني ، ص ٢٥١ .

(٩٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي ، مركز الملك فيصل ، السفر الثاني ، ص ٢٥٢ .

(٩٦) كقوله :

مثل هذه الأفكار التي نظمها الغزال ، تجعل من أرجوزته وثيقة مهمة في رصد التيارات الفكرية في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

ولقد حفلت أرجوزة ابن عبد ربه بأسماء أعلام من قادة الجيش الأموي، كأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة [٩٧] وإسحاق بن محمد القرشي [٩٨]، وعبد الحميد بن بسيل [٩٩]، وبدرٌ [١٠٠]، ودري [١٠١]، كما ضمت قوائم بأسماء الثوار في مناطق متفرقة من الأندلس كبني ذنون، وبني هابل والتجيبيين . على أن أبرز ما يميز أرجوزة ابن عبد ربه هو كثرة أسماء

كأني لم أسمع كتاب محمد وما جاء في التنزيل فيه من الزجر .
فطوبى لعبد أخرج الله روحه إليه من الدنيا على عمل البر

انظر : ابن عبد ربه ، العقد ، المجلد ٣ ، ج ٥ ، ص ٣٥٢

(٩٧) تقلد منصب القيادة في عهد الأمير عبد الله بن محمد ، وأقره الخليفة الناصر عليها . اشتهر بقيادة الصوائف إلى دار الحرب ، واستشهد في إحدى المعارك التي قادها ضد الدويلات الأسبانية المجاورة في الشمال ، وذلك في ربيع الأول من سنة ٣٠٥ هـ ؛ انظر : ابن عذاري ، أحمد بن محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ، ١٧٠ .

(٩٨) ولي الوزارة سنة ٣٠٣ هـ ، وشارك خلال تلك الفترة في قيادة بعض الحملات العسكرية إلى المناطق المتمردة في الأندلس ، كحصن أوريواله في تدمير ، ومدينة قرمونة ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ .

(٩٩) تولى خزانة المال سنة ٣٠٤ هـ ، ثم الكتابة لفترة قصيرة ، ثم عين وزيراً سنة ٣١١ هـ فكان يقود الحملات العسكرية نحو مناطق الثغر ، ثم ولاه الناصر ولاية المدينة سنة ٣١٩ هـ ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ .

(١٠٠) الحاجب بدر بن أحمد ، مولى الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد . ولي الحجابة مع الوزارة وخطة الخيل في نفس اليوم الذي بويع فيه الناصر بالأمارة . كان موصوفاً بالجود وكثرة الصدقات . توفي في رجب من عام ٣٠٩ هـ ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٨٢ .

(١٠١) دري بن عبد الرحمن ، مولى الخليفة الناصر . تقلد خطة العرض سنة ٣٠١ هـ ، وأضيفت إليه خطة المواريث بعد ذلك بعام ، ثم أسند إليه الشرطة العليا سنة ٣٠٩ هـ ؛ انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٨٠ ، ٢٠١ .

المواضع والأماكن الجغرافية الواردة في متنها ، ويلاحظ أن قسماً من أسماء هذه المواضع يعز العثور عليها في المصادر الجغرافية الأندلسية، فمنها مثلاً : حصن بني عمارة، ومجمع الجوزين. ولعل في ذلك ما يدعو إلى إفراد هذه الأرجوزة بدراسة تاريخية جغرافية .

والملاحظ أنه على الرغم مما تنطوي عليه الأراجيز الأندلسية من مادة تاريخية مهمة إلا أنها لم تنل من الذيوع والانتشار ما نالته أراجيز الأندلسيين في الفقه وفي النحو مثلاً، كأرجوزة أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي (ت ٨٢٩ هـ- / ١٤٢٥ م) في فقه مالك وعنوانها **تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام**، وأرجوزته الثانية في أصول الفقه: **مهيع الوصول في علم الأصول** [١٠٢].

أو أرجوزة أبي القاسم الشاطبي [١٠٣](ت ٥٩٠ هـ- / ١١٩٣ م) المسماة **حرز الأماني ووجه التهاني** في القراءات، وكان طلبة العلم يتدارسونها في المشرق والمغرب، وقلما اشتغل أحدٌ بالقراءات إلا ويُعنى بحفظها ومعرفتها [١٠٤] .

أما ابن مالك الأندلسي [١٠٥](ت ٦٧٢ هـ- / ١٢٧٣ م) فإن أرجوزته المعروفة بألفية ابن مالك قد حازت القدح المعلى في الدراسات اللغوية .

---

(١٠٣) المقري ، نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ٢١ .

(١٠٣) أبو القاسم بن فيره بن خلف الرعيني الشاطبي ، المقرئ الفقيه الحافظ . ولد بمدينة شاطبة سنة (٥٣٨ هـ) ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، كان حافظاً للحديث بصيراً بالعربية . رحل إلى مصر واستوطن القاهرة ومات بها ؛ انظر : المقري ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٢ وما بعدها .

(١٠٤) ابن خلكان ، أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) ن ج ٤ ، ص ٧١ .

(١٠٥) أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني . ولد قريباً من عام (٦٠٠ هـ) ، وأخذ علوم اللغة على عدد من علماء عصره في جيان ولبلة ، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى صار إماماً في ذلك . رحل إلى المشرق واستقر بدمشق ومات بها ؛ انظر : المقري ، نفح الطيب ، ج ٢، ص ٢٢٢ وما بعدها .

ربما سبق إلى الذهن أن السبب في عدم مجاراة الأراجيز التاريخية الأندلسية لمثيلاتها في العلوم الأخرى يرجع إلى أن النتاج التاريخي في الأراجيز الأندلسية كان أضعف من أن يستعلن، لا سيما وأن الأندلسيين أنفسهم كانوا ينظرون إلى الاشتغال بالتاريخ بشيء من التحفظ، وتلك حقيقةٌ أوضحها المؤرخ ابن حيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ - / ١٠٧٦ م) ، فقال واصفاً جهوده في جمع المادة التاريخية لكتابه : " ... فلم أظفر منه إلا بما لا قدر له، لزهد من قبلنا قديماً وحديثاً في هذا الفن، ونفيهم له عن أنواع العلوم " [١٠٦]. واستمر هذا الموقف السلبي من الاشتغال بالتاريخ لدى بعض الأوساط العلمية حتى في العصور الإسلامية المتأخرة في الأندلس، فالقاضي أبو الحسن النباهي (ت بعد ٧٩٣ هـ - / ١٣٩٠ م) عدّ من جملة مثالب ابن الخطيب ؛ اشتغاله بالتاريخ ، فقال في ذلك : " ... **هو الذي حملني على نصحكم ومراجعتكم في كثير من الأمور ، منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبتم به في التاريخ وأمثاله ، فإنكم نفعتم بما وقعتم فيه من الغيبة المحرمة أحياءً وأمواتاً لغير شيء حصل بيدكم وضررتم أنفسكم** ... " [١٠٧]. وثمة سببٍ آخر قد يفسر هذه الملحوظة التي نحن بصددها؛ وذلكم هو غلبة الطابع المحلي على موضوعات الأراجيز التاريخية في الأندلس، فلم تبلغ موضوعاتها من السعة والشمول ما يجعلها تحيط بأخبار المسلمين. والمحاولات التي بذلها بعض الأندلسيين في سبيل هذه الغاية جاءت ناقصة ؛ فإما أن تكون مجرد تكرار وتلخيص لما ورد في كتب أخرى كما هي الحال مع أرجوزة أبي طالب عبد الجبار الشقري، وإما أن تكون قصرت عن تتبع التاريخ الإسلامي على اختلاف أماكنه كما في أرجوزة (رقم الحلل) لابن الخطيب.

---

(١٠٦) ابن بسام ، الذخيرة ، ج ١ ، ص ٣٥٨ .

(١٠٧) المقري ، نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ١٢٣ .

الخاتمة

شكلت الأراجيز لوناً من ألوان التدوين التاريخي في الأندلس، حيث تناولت جوانب مهمة من التاريخ الأندلسي، وتجلت أهميتها في كونها سبقت المدونات التاريخية في توثيق حوادث من التاريخ المحلي، كما سبقت مثيلاتها من الأراجيز المشرقية في التدوين التاريخي بصفة عامة، وهذا ما تبين في ثنايا البحث الذي أظهر صواب الفكرة الشائعة عن ظهور الأراجيز التاريخية أولاً في الأندلس.

ولقد تبين أيضاً أن الأراجيز التاريخية الأندلسية نحت منحىً محلياً في أول أمرها، ثم تمايزت موضوعاتها فعكس بعضها صدى التيارات الفكرية الشائعة في البلاد، بينما اتجه بعضها الآخر إلى تدوين أخبار الجيش فجاءت موضوعاتها بمثابة وثيقة مهمة عن تاريخ الأندلس في تلك الفترة المبكرة. وفيما بعد مدت الأراجيز التاريخية الأندلسية نطاق موضوعاتها لتشمل حوادث من تاريخ الإسلام، واستفادت من هذا الاتجاه حينما انتزعت موضوعات من السيرة النبوية وجرى توظيفها لشحذ همم الناس منذ القرن السابع الهجري فما بعده لمقارعة المد النصراني المتزايد في الأندلس.

وعلى الرغم من ريادة الأندلس في مجال الأرجوزة التاريخية؛ إلا أنها - أعني الأرجوزة التاريخية الأندلسية - لم تحظ بمثل ما حظيت به أراجيز الأندلسيين في الفقه والنحو والقراءات، والتي شرّقت وغرّبت لدى الأوساط العلمية من أبناء العالم الإسلامي، وتلك مشكلةٌ ناتجة عن قلة العناية بالكتابة التاريخية أكثر من كونها مشكلة تتعلق بالمادة التاريخية في تلك الأراجيز.

Abstract

This paper deals with the historical information contained in the Arajees (sing. Arjuzah: piece of poetry on a short metre) and its possible use as historical material. The reason being the thought widespread within some Academic Circles that one cannot or should not depend on Arajees as a source of history simply because these Arajees were basically intended to help students develop their memorization skills. The idea of this paper is to study the Andalusian Arajees, the nature, subject and value of its historical information.